السنة الحادية والخمسون وثلاث مئة[١]

فيها نُقلَت سنةُ خمسين وثلاث مئة [من حيث المُغِلات] إلى سنة إحدى وخمسين الخَراجية، وكتب الصابئ كتاباً عن المطيع في المعنى منه[٢]: ففضل الله تعالى بين الشمس والقمر، وأنبأنا أنَّ لكلٍّ منهما طريقاً سُخِّر فيها، وطبيعةً جُبل عليها، وأنَّ تلك المُخالَفة والمُبايَنة في المَسير يؤدِّيان إلى مؤالَفة ومُوافَقة في التَّدبير، فمن هناك زادت السنة الشمسية فصارت ثلاث مئة وخمسةً وستين يوماً ورُبعاً بالتقريب المُعَوَّل عليه، وهي المدة التي تقطع فيها الشمس الفَلَك مرةً واحدة، ونَقَصت السنة الهِلالية فصارت ثلاثَ مئة وأربعةً وخمسين يوماً وكَسْراً، وما زالت الأمم السالفة تَكْبِس زيادات السنين على اختلاف مذاهبها، وفي كتاب الله شهادةٌ بذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥] فكانت هذه الزيادة بإزاء ذلك.

فأما الفُرس فإنَّهم أجْرَوا معاملاتهم على السَّنة المُعْتَدِلة التي شهورُها اثنا عشر شهراً، وأيامها ثلاث مئة وستُّون، ولقَّبوا الشهور اثني عشر لَقباً، وسمَّوا الأيام بأسامي، وأفردوا الأيام الخمسة الزَّائدة وسَمَّوها المُسْتَرقَةَ، وكَبسوا الرُّبُع في كلِّ مئةٍ وعشرين [سنة][٣] شهراً، فلمَّا انقرض مُلكهم بَطَل ذلك.

وأما الرُّوم فرتَّبوا شهورَ السنة على ما عُرف، وساقوا الخمسةَ أيام معها، وكبسوا الرُّبع في كلِّ أربع سنين يوماً، واقتدى المعتضد بالله بهم، وذكر كلاماً طويلاً حاصلُه تعجيلُ الخَراج وحساب أيام الكَبيس.

ذكر دخول الروم زَرْبَة:

قال ثابت: دخلوها مع الدُّمُسْتُق في مئة وستين ألفاً، وهي في سفح جبل مُطِلٍّ عليها، فصعد بعضُ جيشه الجبل، ونزل هو على بابها، وشرع الروم في نَقْب السور،

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) في (خ): مرحلة، وليس النص في (م ف م١) لاختصار نشير إليه قريباً، والمثبت من المواعظ والاعتبار ٣٤٩، وانظر تاريخ الإسلام ٨/ ٧ وما بين معكوفين منه.

(٣) ما بين معكوفين من المواعظ والاعتبار، وتاريخ الإسلام ٨/ ٧.

فأرسلوا يطلبون الأمان، فأمَّنهم وفتحوا له أبواب المدينة فدخلها، وندم حيث أمَّنهم، ونادى بأن يخرجَ جميعُ مَن في البلد إلى الجامع، فلمَّا أصبح بث رَجَّالته وكانوا ستين ألفاً، فكلُّ مَن وجدوه في منزله قتلوه، فقتلوا عالمَاً لا يُحصى، وأخذوا جميع ما كان فيها، وكان في الجملة سبعون ألف رُمْح، وقطع من حوالي البلد أربعين ألف نَخْلة، وهدم المنازل وأحرقها.

ونادى: مَن كان في الجامع فليذهب حيث شاء، ومَن أمسى فيه قُتل، فازدحم الناس في أبوابه حتى مات منهم خلقٌ عظيم، ومرُّوا على وجوههم حُفاةً عُراةً لا يدرون أين يأخذون، فماتوا في الطُّرُقات عَطَشاً وجوعاً.

وأخرب أسوار البلد، وأحرقَ الجامع والمِنْبَر، وهدم حولها أربعةً وخمسين حِصْناً، منها بالأمان ومنها بالسيف، كذا ذكر ثابت بن سنان، وأقام في بلاد الإسلام عشرين يوماً، وأخذ من أهل بَغْراس مئة ألف درهم وأقرَّهم، ولمَّا عاد إلى بلاده أعاد سيف الدولة عين زَرْبة إلى بعض ما كانت عليه بعد مدة.

ذكر دخول الروم حلب:

وهي حادثةٌ لم يَجْر في الإسلام مثلُها، كان سيف الدولة قد ظنَّ أنَّ الدُّمُسْتُق لا يعود إلى بلاد الإسلام في هذه السنة، فأقام بحلب غير مُسْتعدٍّ، فبينا هو غافلٌ وإذا بالدُّمُسْتُق قد أقبل ومعه ابنُ أخت الملك، ولم يعلم سيفُ الدولة به حتى بَغَتَه، فخرج إليه، وحاربه الدمستق في مئتي ألف، منهم ثلاثون ألف راجل بالجَواشِن[1]، وثلاثون ألف فاعل للهَدْم بطريق البلخ، فلم يثبت له سيف الدولة، فانهزم في نفرٍ يسير، وكانت دارُه بظاهر البلد، فجاء الدمستق إليها، فوجد فيها ثلاث مئة وتسعين بَدْرة دراهم، وألفاً وأربع مئة بغل، ومن السلاح ما لا يُحصى، فأخذ الجميع، وأحرق الدار، وملك الرَّبَض.

وقاتله أهل حلب من وراء السُّور، فقتلوا [جماعةً من الروم، فسقطت ثُلمةٌ من السُّور على جماعة] من أهل حلب، فطمع الروم في تلك الثُّلْمَة فأكبُّوا عليها، ودافع

(١) الدروع.

أهلُ البلد عنها، فلمَّا جاء الليل بنَوها، ولمَّا أصبحوا صَعِدُوا عليها وكبَّروا، فعدل الروم عنها إلى جبل جَوْشَن فنزلوا به، ومضى رَجَّالةُ الشُرَط بحلب إلى منازل الناس[1] فنهبوها، وإلى خانات التجار، فقيل لمَن على السُّور: اِلحقوا منازلكم، فنزلوا وأخلَوا السور، وتسوَّروه الروم، ونزلوا ففتحوا الأبواب، ودخلوا فوضعوا السيف في الناس.

وكان في البلد ألفٌ ومئة من الروم أُسارى، فتخلَّصوا وحَملوا السِّلاح، وعادوا الروم فما زالوا يقتلون حتى كَلُّوا ومَلُّوا، وسَبَوا من الرجال والنساء بضعة عشر ألف صبي وصَبية، وأخذوا من الأموال والأمتعة والأسلحة وأموال التجَّار ما حَمل الدُّمُسْتُق بعضَها على البغال التي أخذها لسيف الدولة، فلمَّا لم يبقَ معه شيء أحرق الباقي، وعمد إلى الحُبابِ التي فيها الزيت فصبَّ فيها الماء حتى فاضَ الزيتُ على وجه الأرض فشربَتْه، وأخرب الجامع والمساجد، وأقام فيها تسعة أيام، وكان معه أربعة آلاف بغل عليها حَسَكُ حديدٍ مُطرَّحةً حول العسكر بالليل إلى غير ذلك، وما نجا منه إلا مَن صَعِد قلعة حلب بنفسه.

ولمَّا كان اليوم التاسع أراد أن ينصرفَ بما معه، فقال له ابنُ أخت الملك: هذا بلدٌ قد حصل في أيدينا، وليس ثَمَّ مَن يدفعنا عنه، والوزراء والقُوَّاد والأعيان والكُتَّاب والأموال والجواهر في القلعة، فبأيِّ سبب ننصرفُ وما فتحناها؟ فقال الدُّمُسْتق: قد وصلنا إلى ما لم يَكن في الحساب من القتل والسَّبْي والأسر وأَخْذ المال والسلاح والكُراع، وغنمنا غنيمةً ما غنمها أحدٌ ولا سمع بمثلها، والذي في القلعة ما عندهم غيرُ نفوسهم، وإذا نزلوا هلكوا؛ لأنَّهم لا يجدون قوتاً، والرأي أن ننصرف فإن طلب الغايات رَديء، فقال ابنُ أخت الملك: لابدَّ لي من القلعة، فقال: انْزِل عليها وقاتلها وحاصرها، ولا تُلِحَّ في قتالها، فإنْ حصَرْتَها أياماً أخذْتَها، فقال: لا آخذُها إلا بالسيف، فقال الدمستق: أنا مقيمٌ على باب البلد في عسكري.

فأصبح ابنُ أخت الملك، وأخذ تُرْساً وسيفاً، وأتى القلعة ومَسْلَكُها ضَيِّقٌ لا يحمل أكثرَ من واحد، فصَعِد وصعد خلفه جماعةٌ من أصحابه، واحدٌ بعد واحد، فكان في

(١) في (خ): منزلهم، والمثبت من الكامل ٨/ ٥٤٠، وانظر تكملة الطبري ٣٩٤، والمنتظم ١٤/ ١٤٠ ـ ١٤١، وتاريخ الإسلام ٨/ ٨.

القلعة جماعةٌ من الدَّيْلَم، فتركوه حتى قَرُب من الباب، وأرسلوا عليه حَجَراً، فوقع عليه فانقلب، ثم وثب وهو مَشْدوخ، فرماه واحدٌ من الدَّيْلَم بخِشْت[1] في صدره فقتله، وأخذه أصحابُه وانصرفوا به إلى الدُّمُسْتق.

وكان الدمستق قد أسر من أعيان المسلمين ألفاً ومئتي رجل، فضرب أعناقهم بأسرهم، وسار إلى بلد الروم، ولم يتعرَّض لقرى حلب، وقال لأهلها: ازرعوا واعمُروا فهذا البلد قد صار لنا، وبعد قليل نعود إليكم.

وفيها ملك ركنُ الدولة بن بُوَيْه جُرْجان، ومضى وَشْمَكير إلى الجبل[2].

وفيها كتبت العامةُ ببغداد على حيطان المساجد لعنةَ معاوية بن أبي سفيان، ولعنة مَن غصب فاطمة عليها السلام حقَّها من فَدَك، ومَن منع الحسن رضوان الله عليه أن يُدفَن مع جده رسول الله ﷺ، ولعنة مَن نفى أبا ذر الغفاري، ولعنة مَن أخرج العباس بن عبد المطّلب من الشُّورى [ولم يمنعهم السلطان من ذلك]، ثم إنَّ ذلك مُحي في أول الليل، فأراد معزُّ الدولة إعادته، فأشار عليه [أبو محمد] المُهَلَّبي الوزيرُ أن يكتب مكان ما مُحي: لعن الله الظَّالمين لآل رسول الله ﷺ من الأوَّلين والآخرين، وصرَّحوا بلعنة معاوية لا غير.

وفيها أسرت الروم أبا فراس بن أبي العلاء سعيد بن حَمْدان من مَنْبج وكان واليها.

[وفي هذه السنة] وقع بالعراق بأرض الجامدة بَرَد، كلُّ بَرَدَةٍ رَطْل ونصف بالعراقي ورطلان.

وفيها توفي

الحسن بن محمد بن هارون

أبو محمد، المُهَلَّبي، من ولد المُهَلَّب بن أبي صُفْرة، وزير مُعزِّ الدولة[3].

---

(١) هي الحربة بالفارسية.

(٢) من أول السنة إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٣) يتيمة الدهر ٢/ ٢٦٥، المنتظم ١٤/ ١٤٢، الكامل ٨/ ٥٤٦، معجم الأدباء ٩/ ١١٨، وفيات الأعيان ٢/ ١٢٤، تاريخ الإسلام ٨/ ١٠ و ٤٢، السير ١٦/ ١٩٧ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢١٦، وهذه الترجمة ليست في (م ف م١).

أقام في وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر، وكان فاضلاً، شاعراً، فصيحاً، حليماً، أديباً، نبيلاً، كثيرَ المعروف، جَواداً، سَمْحاً، ذا مروءةٍ وأناة واصطناعٍ للرجال.

قال أبو إسحاق الصَّاغاني[١]: صاغ الوزير دواةً ومَرْفَعاً[٢]، وحلَّاهما حِليةً ثقيلة، وكانت طولَ ذِراع وكسر في عرض شبر، فأُحضرت بين يديه، وكان الفضل بن عبد الرَّحمن الشِّيرازي جالساً عن يمينه، وأنا على جانب الشيرازي، فاستحسنها الشيرازي وقال لي فيما بيننا: ما كان أحوجني إلى ثمنها لأنتفع به، قلتُ: وما يصنع الوزير؟ فقال: يدخل في حِر أُمِّه.

وسمع الوزير ما جرى بيننا، فلمَّا كان من الغد دخلتُ على الشيرازي فقال: عرفتَ خبرَ الدواة؟ قلتُ: لا، قال: جاءني بها البارحة رسولُه بمَرْفَعها ومعها خمسة آلاف درهم، ومِنديل فيه عشرُ قطع ثياب، وقال: الوزيرُ يقول: أنا عارفٌ بانقطاع الموادِّ عنك، وكثرةِ المؤن وتضاعفها عليك، وقد آثرتُك بهذه الدواة لما رأيتُ من استحسانك لها، وأضفتُ إليها ما تكتسي به، وما تَصرفُه في بعض نَفَقتك، فعجبتُ في اتِّفاق ما تجارَيْنا فيه وجاء هذا على أثَره.

وتقدَّم الوزير بصياغة دواةٍ أخرى فصِيغَت، ودخلنا مجلسه وهي بين يديه، وهو يوقِّع منها، فنظر إلينا ونحن نلحظها فقال: هي، مَن منكما يُريدها على الإعفاء من الدخول، فاستحيينا منه، وعلمنا أنَّه قد سمع قولَنا، وقلنا: بل يُمتِّع الله الوزيرَ بها ويُبقيه حتى يَهَب لنا ألفاً مثلَها.

وكانت وفاتُه ببغداد عن أربع وستين سنة، ودُفن بمقابر قريش، وقيل: إنَّه كان توجَّه إلى عُمان فمات بها في الطريق، فحُمل في تابوت إلى بغداد، وقبض معزُّ الدولة على أولاده، وكتَّابه، وأسبابه، وصادرهم، ثم استوزر أبا الفَضْل العباس بن الحسن الشِّيْرازي.

---

(١) كذا في (خ) والمنتظم ١٤/ ١٤٢، وفي معجم الأدباء ٩/ ١٣٠: قال هلال [بن المحسن بن إبراهيم الصابئ]: وحدثني أبو إسحاق جدي. فلعل ما في المنتظم ومختصر المرآة تحريف.

(٢) حمالة للدواة.

[وفيها توفي]

دَعْلَج[١] بن أحمد

ابن دَعْلَج بن عبد الرَّحمن، أبو محمد، السِّجِسْتاني، الفقيه، المُعَدَّل، نزيل بغداد.

سمع الحديث بخُراسان، والرَّي، وحُلْوان، وبغداد، ومصر، والكوفة، ومكة وغيرها، وكان من ذوي اليَسار، والمشهورين بالبِرِّ والإفضال، وله صدقات جاريةٌ، ووقوف على أهل الحديث ببغداد ومكة وسِجِسْتان.

وأثنى عليه الأئمة[٢]، وقدم نَيْسابور مرَّتين [وسمع المصنَّفات من أبي بكر بن خُزَيمة]، وكان يُفتي على مذهبه، ثم جاور بمكة وعاد إلى بغداد.

وسبب عوده ـ [وقد حكاه الخطيب، عن القاضي أبي العلاء الواسطي، عن دَعْلَج] ـ قال: خرجتُ ليلةً من الليالي بمكة أريد المسجد، وإذا بثلاثة من الأعراب قد لزموني وقالوا: لك أخ من أهل خُراسان [قتل أخانا، فنحن نقتلك به، قال: فقلتُ: يا قوم، اتقوا الله فإنَّ خُراسان] ليست بمدينة واحدة، ولم أزل أُداريهم حتى اجتمع الناس علينا، فخَلَّوا عني، فانتقلتُ إلى بغداد.

وحكى الخطيب، عن الأزهري عن ابن حَيُّويه أبي عمر قال: أدخلني داره ـ يعني دَعْلَج[٣] ـ فأراني بِدَراً من المال مُعَبأة في منزله، فقال: خذ منها ما شئت، فقلتُ: أنا عنها في كفاية وغنى، ولا حاجة لي فيها، وشكرتُه ودعوتُ له.

[ذكر حكايته مع الرجل المديون:

قال الخطيب: حدثني] محمد بن علي [بن عبد الله] الحَدَّاد[٤]، عن شيخ سمَّاه قال: حضرتُ يوم جمعةٍ في الجامع بمدينة المنصور، فرأيتُ رجلاً بين يديَّ في الصف

---

(١) في (م): فصل وفي هذه السنة توفي دعلج، والمثبت من (م١ ف)، وانظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٩/ ٣٦٦، وتاريخ دمشق ٦/ ٨٥، والمنتظم ١٤/ ١٤٣، وتكملة الطبري ٣٩٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٠، والسير ١٦/ ٣٠.

(٢) في (م ف م١): وذكره الأئمة وأثنوا عليه فقال الحاكم أبو عبد الله: دعلج شيخ أهل الحديث في عصره، له وقوف وصدقات جارية على أهل مكة والمدينة وغيرهما. والمثبت من (خ).

(٣) في (خ): وقال أبو عمر: أدخلني دعلج داره، والمثبت من (ف م م١)، وانظر هذا الخبر وسابقه في تاريخ بغداد ٩/ ٣٦٨.

(٤) في (خ): حكى محمّد بن علي الحداد، والمثبت من (م ف م١)، والخبر في تاريخ بغداد ٩/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩.

حسنَ الوَقار، ظاهرَ الخشوع، دائمَ الصلاة، ولم يزل يتنفَّل منذ دخل المسجد إلى قريب قيام الصلاة، ثم جلس، ودخلت قلبي مَحبَّتُه.

ثم أقيمت الصلاة فلم يصلِّ مع الناس الجمعة، فكَبُر عليَّ ذلك، وغاظني فعلُه، فلما قضيتُ الصلاة تقدَّمتُ إليه وقلتُ له: أيها الرجل، ما رأيتُ أعجبَ منك، أطلتَ صلاةَ النافلة وأحسنتَها، ثم تركتَ الفريضةَ وضيَّعتَها؟! فقال: لي عذرٌ مَنعني من الصلاة، قلتُ: وما هو؟ قال: أنا مَديون اختفيتُ في منزلي مدَّةً بسبب الدَّين، ثم حضرتُ اليوم الجامع، فقبل أن تُقامَ الصلاة التفتُّ فرأيتُ صاحب الدين ورائي، فمن خوفي منه أحدثتُ في ثيابي، قلتُ: ومَن صاحبُ الدين؟ فأشار إلى دَعْلَج، وكان صاحبٌ لدعلج إلى جانبه، فسمع ما نقول وهو لا يعرفه، فقام ومضى إلى دَعلج فأخبره بالقصة، فقال دعلج للرجل: خذه واذهب به إلى الحمَّام، واطرح عليه خِلْعةً من ثيابي، وأجلسه في منزلي حتى أنصرف من الجامع، ففعل الرجل ذلك.

فلما انصرف دعلج إلى منزله أمر بالطعام وأُحضر، وأكل هو والرجل، ثم أخرج حسابه، فإذا عليه خمسةُ آلاف درهم، فقال له دعلج: انظر لا يكون عليك في الحساب غلط، فقال الرجل: لا والله، فكتب دعلج تحته بالوفاء، ثم دفع إليه خمسة آلاف درهم وقال: أما الحساب الأول فقد أحلَلْتُك منه، وأسألك أن تقبلَ هذه وتجعلَني في حلٍّ من الروعة التي دخلت قلبك في الجامع لمَّا رأيتَني، فقال: أنت في حلٍّ، وانصرف الرجل شاكراً داعياً.

[ذكر قصته مع ابن أبي موسى الهاشمي:

قال الخطيب: حدثني أبو منصور محمد بن أحمد العُكْبَري قال: حدثني] أبو الحسين أحمد بن الحسين الواعظ قال: أُودِعَ أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي عشرة آلاف دينار [ليتيم]، فضاقت يدُه، وامتدَّت إليها فأنفقها، فلما بلغ الغلام [مبلغ الرجال] أمر السلطان بفكِّ الحَجْر عنه، وتسليم المال إليه.

قال ابن أبي موسى: فضاقت عليَّ الأرضُ بما رَحُبَت، وتحيَّرتُ في أمري لا أدري من أيِّ وجهٍ أغرَم المال، فركبتُ من داري بُكرةً وقصدتُ الكَرْخ، ولا أدري أين أتوجَّه، وانتهت بي البغلةُ إلى دَرْب السَّلولي، فوقفتْ على باب مسجد دَعْلَج [بن

أحمد]، فنزلتُ ودخلتُ المسجد، وصليتُ خلفه صلاة الفجر، فلما فرغ قام ورحَّب بي، وأخذ بيدي وأدخلني منزله، فلمَّا جلسنا جاءت الجارية بمائدة لَطيفة وعليها هَرِيسة، فقال: يأكلُ الشريف، فأكلتُ وأنا لا أدري كيف آكل، فلما رأى تقصيري قال: أراك مُنْقَبضاً فما الخبر؟ فقصَصْتُ عليه القصة، فقال: كل فإنَّ حاجتك تقضى[1].

ثم أحضر حَلْواء، فأكلنا وغسلنا أيدينا، فقال: يا جارية، افتحي لنا ذاك الباب، ففتحت وإذا بخزانة مملوءة زُبُلاً[2] مُجَلَّدة، فأخرج بعضها وفتحها إلى أن أخرج النقد التي كانت الدنانير منه، فوَزَن عشرة آلاف دينار بالطيار وقال: يأخذُ الشريف هذه، فقلت: يُثبتُها الشيخ عليَّ، فقال: أفعل.

فقمتُ فركبت بغلتي، وتركت الكيس على القَرَبوس، وقد كاد عقلي يطير فَرَحاً، وغَطَّيتُه بطَيْلَساني، وعدتُ إلى داري، وانحدرتُ إلى دار السلطان بقلبٍ قويٍّ وجنان ثابت، وحضر القضاةُ والشُّهود والنُّقباء ووُلاة العهود، وأُحضر الغلام ففَكَّ الحَجْر عنه، وسلم إليه المال، وعظُم الشُّكر والثناء عليَّ [وظنُّوا أني فرطتُ في المال].

فلمَّا عدتُ إلى منزلي دعاني أحدُ الأمراء من أولاد الخليفة ـ وكان كثير المال ـ فقال: [قد] رغبتُ في معاملتك، وأُضَمِّنك أملاكي [ببادوريا ونهر المَلِك]، فضَمنتُ ذلك بما تقرَّر بيني وبينه، وجاءت السَّنة، ووَفَّيْتُه الضَّمان، وحصل في يدي من الرِّبح ما له قدرٌ كبير.

وكان ضمانُ هذه الضياع [ثلاث] سنين، فلمَّا مضت حَسبتُ حسابي وقد حصل لي ثلاثون ألف دينار، فأخذتُ عشرةَ آلاف دينار ومضيتُ إلى مسجد دَعلج، وصلَّيتُ خلفه، ودخلنا منزله، فقدَّم المائدة والهَريسة والحَلْواء، وأكلنا، وعرَّفتُه حالي، ودعوتُ له وشكرتُه وقلتُ: قد حصل لي ببركتك ثلاثون ألف دينار، وقد أحضرتُ عشرة آلاف دينار عوض ما أخذت منك، فقال: يا سبحان الله، والله ما خرجت الدنانير من يدي ونويتُ أن آخذ منك عِوَضاً، حَلِّ بها أنت الصبيان، فقلتُ: يا شيخ، أيش أصلُ هذا الذي وهبتَ منه عشرة آلاف دينار؟!

---

(١) في (م ف م١): قد قضيت.

(٢) في (ف م م١): زنبلات، وهما بمعنى القُفَّة.

[فقال: اعلم] أني نَشأتُ في قراءة القرآن، وسمعتُ الحديث، وكنتُ أتَّجِر، فجاءني رجل من تُجَّار البحر فقال لي: أنت دَعلج بن أحمد؟ قلتُ: نعم، قال: قد رَغِبتُ في تسليم مالي إليك لتتَّجر به، فما سهَّل الله به من فائدة كانت بيننا، وما كان من جائحةٍ كانت في أصل المال.

فسلَّم إلي بارنامجات بألف ألف درهم، وقال لي: ابْسُط يدَك، ولا تعلم مكاناً يَنْفَقُ فيه هذا المتاع إلا حملتَه إليه، ولم يزل يتردَّد إليَّ سنةً بعد سنة والبضاعة تنمي، وهو يحمل إليَّ شيئاً بعد شيء، فلما كان في آخر السنة اجتمعنا قال: أنا كثيرُ الأسفار في البحر، فإن قضى الله عليَّ بما قضى على خلقه فهذا المال لك، تصدَّق منه، وابْنِ المساجد، وافعل الخير، وغاب عنِّي مدةً، والظاهرُ أنَّه هلك، فأنا أفعل بالمال ما أمرني به، فاكتُم عليَّ هذا الحديث أيام حياتي.

وقال الدَّارَقُطني: استرجع مُعزّ الدولة من غلامه جاشتكين أموالاً، فطلب شهوداً يشهدون عليه أنَّه غيرُ مُكرَه، وجعلوه وراء سِتْر، وجُمع الشُّهود، وحضر دَعْلج، وشهدوا وقالوا له: اِشْهَد، فقال: وأين الذي أشهد عليه، لعلَّه مُكْرَه أو مُقَيَّد، أخرجوه لي حتى أراه، ولم يشهد، وبلغ معزَّ الدولة فقال: ما كان فيهم مسلمٌ غيره[1].

ذكر وفاته:

مات هذه السنة، وقيل: سنة ثلاث وخمسين يوم الجمعة[2] حادي عشر ذي الحجة ببغداد، وله خمس وتسعون سنة.

وأسند عن خلق كثير، وكان ثَبْتاً، صدوقاً، ثقةً، قَبِل الحكَّام شهادته وأثنَوا عليه، وكان الدارقطني هو المُصنِّفَ له كتبه، والناظِرَ في أصوله، وصنَّف له «المسند»، ولمَّا تمَّ بعث به إلى أبي العباس بن عُقْدَة لينظر فيه، وجعل بين كلِّ ورقتين ديناراً.

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٨٧ (مخطوط).

(٢) في (م ف م١): ذكر القاضي أحمد بن كامل أنه مات في هذه السنة، وذكر أبو بكر النيسابوري أنه مات في سنة ثلاث وخمسين يوم الجمعة، والمثبت من (خ).

وقد ذكر الخطيب في تاريخه ٩/ ٣٧١ ـ ٣٧٢ القول الأول منسوبا إلى محمد بن الحسين القطان والحسن ابن شاذان، ونقلته عنه سائر المصادر، وذكر ابن عساكر في تاريخه ٦/ ٨٩ القول الثاني منسوباً إلى أبي عبد الله الحافظ الحاكم النيسابوري.

وقال الدارقطني: ما رأيتُ في مشايخنا أثبتَ منه، كان إذا شكَّ في حديث ضَرب عليه.

وخلّف[١] ثلاث مئة ألف مِثقال ذهب، فأخذها معزُّ الدولة، وكان قبل ذلك لا يتعرَّض للتَّركات، لكنَّه لم يصبر عن أموال دَعلج حتى أخذها، ولم يتعرَّض لأوقافه، وكانت في جميع البلاد [والأماكن والأقطار كالمدينة ومكة وغيرهما].

محمد بن الحسن

ابن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر، النقَّاش، مولى أبي دُجانة الأنصاري[٢].

ولد سنة ستٍّ وستين ومئتين، وأصله من المَوْصل، وسكن بغداد، وكان عالماً بالقراءات والتفسير، وصنَّف في التفسير كتاباً سماه «شفاء الصدور»، وله تصانيف، وسافر شرقاً وغرباً، وتوفي في بغداد يوم الثلاثاء ثاني شوال، ودفن يوم الأربعاء في داره، وكان يسكن دار القُطْن.

وقال أبو الحسن بن الفَضْل القَطَّان: حضرتُه وهو يجود بنفسه، فجعل يُحرِّك شفتَيه بشيءٍ لا أعلمه، ثم نادى بأعلى صوته: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١] يُردِّدها ثلاثاً، ثم خرجت روحه. وقد تكلَّموا فيه.

[وفيها توفي]

محمد بن داود

أبو بكر، الدِّيْنَوري، ويعرف بالدُّقِّي[٣].

من أجلِّ المشايخ وأحسنهم حالاً، وأقدمهم صحبةً للمشايخ.

---

(١) في (م ف م١): ذكر ما خلّف من المال، قال الخطيب: خلّف، وهذا القول لم أجده في ترجمته من تاريخ بغداد، وذكره ابن عساكر ٦/ ٨٩ دون نسبة، وذكره الذهبي منسوباً إلى أبي ذر الهروي.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٦٠٢، تاريخ دمشق ٦١/ ٣٢٨، المنتظم ١٤/ ١٤٨، تاريخ الإسلام ٨/ ٣٦، السير ١٥/ ٥٧٣، وميزان الاعتدال (٦٩٩٤)، وهذه الترجمة ليست في (م ف م١).

(٣) طبقات الصوفية ٤٤٨، تاريخ بغداد ٣/ ١٧٢، الرسالة القشيرية ١١٨، الأنساب ٥/ ٣٢٧، تاريخ دمشق ٦٢/ ٤٥، المنتظم ١٤/ ٢٠٩، مناقب الأبرار ٢/ ١٦٢، تاريخ الإسلام ٨/ ١٥٤، السير ١٦/ ١٣٨.

[أثنى عليه أبو عبد الرَّحمن السُّلَمي، وأبو نُعيم، والحافظ ابن عساكر، وابن خَميس وغيرهم، فقال السُّلَمي: كان من كبار المشايخ] أقام ببغداد مدة، ثم انتقل إلى دمشق فسكنها، [وله الكلام الحسن والحكايات الغريبة.

حكاية الصورة:

ذكرها الحافظ ابن عساكر في «تاريخه» قال:] اجتاز الدُّقِّي ببِيْعَة النَّصارى بالشام، فقال له أصحابه: نريد أن ندخلَ هذه البِيعة، فنهاهم، فألحُّوا عليه فقال: ادخلوا، فدخلوا ثم خرجوا، فقال لهم: إيش استفدتُم من دخولكم؟ قالوا: لا شيء.

فقام ودخل إليها، فرأى في الحائط صورة عيسى عليه السلام، فرفع عصاه عليه وقال: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] فرفعت الصورة يدها[١] وقالت بلسان فصيح: لا لا لا، وكان هناك جماعةٌ من الرُّهبان، فأسلموا كلُّهم على يده، وخرجوا من البِيعة وصاروا صوفية، فقال لأصحابه: إذا دخلتُم البِيَع فادخلوا هكذا، وإلا فلا تدخلوا.

[وحكى عنه ابن جَهْضَم] قال: فُتح عليَّ بنصف دينار وأنا بالرَّمْلَة، وكان عليَّ بالقدس نصفُ دينار دين، وقدم عليَّ فقراءُ من الحجاز وبهم فاقةٌ، فجعلتُ أُميِّزُ هل أنفقه عليهم أو أقضي به دَيني؟ وبات الفُقراء جياعاً، فلما كان بالليل ضَرب عليَّ ضِرْسي فلم أنم، فقلعتُه، ثم ضرب [عليَّ] آخر [ثم آخر]، فهَمَمْتُ بقَلْعه، فأخرجتُ النِّصْف دينار قبل طلوع الفجر وقلتُ: هذا للفقراء، فهتف بي هاتف: لو لم تخرجه لقلعنا أضراسَك كلَّها[٢].

وقال[٣]: حدَّثني أبو الخير العَسْقلاني قال: كنتُ مارًّا ببغداد وبين يديَّ فقيرٌ يمشي، وإذا بقائل يقول: [من مخلع البسيط]

أمدُّ كَفَّيَّ بالخُضوعِ إلى الذي جاد بالصَّنيعِ

فصاح الفقير ووقع ميتاً.

(١) في (م ف م١): رأسها، والخبر في تاريخ دمشق ٦٢/ ٥٠.

(٢) تاريخ دمشق ٦٢/ ٤٨ ـ ٤٩.

(٣) القائل هو عبد الملك بن محمد القشيري كما في تاريخ بغداد ٣/ ١٧٣، وعنه تاريخ دمشق ٦٢/ ٥١.

obeikandi.com

[وحكى عنه ابن جَهْضَم قال:][1] نزلتُ على قبيلة من العرب في البادية، فأضافوني، فرأيتُ غلاماً أسودَ مُقيَّداً، وجِمالاً مَيتة بفِناء البيت، فناداني الغلام: أنت ضيفٌ، ولك حقٌّ، فاشفع فيَّ إلى مولاي فإنَّه لا يَرُدُّك.

فلما حضر الطعام قلتُ لصاحب البيت: لا آكلُ طعامَك حتى تُطلق هذا العبد، فقال: إنه أفقرني وأتلف مالي، قلتُ: وكيف؟ قال: كنتُ أعيشُ من هذه الجمال التي ترى، وصوته طَيِّبٌ، فحمَّلها أحمالاً ثقالاً وحَدا لها، فقطعت مسيرةَ ثلاثة أيام في يومٍ واحد، فلمَّا حطَّ عنها أحمالَها وقعت ميتةً كما ترى، ولكن قد وهبتُه لك، وحَلَّ القيدَ من رجله، فقلت: أحبُّ أن أسمعَ صوتَه، فحَدا وهناك جملٌ يُستقى عليه الماء، فهام الجمل على وجهه وقطع حِبالَه، ووقعتُ مَغشيًّا عليَّ، وما سمعتُ صوتاً أطيبَ من صوته.

وأنشد الدُّقِّي يقول: [من مجزوء الكامل]

إنْ كنتَ تُنكر أنَّ للأصـ ـواتِ فائدةً ونَفْعا
فانظُر إلى الإبل اللواتي هنَّ أغلظُ منك طَبْعا
تُصغي إلى حَدْوِ[2] الحُدا ةِ فتقطعُ الفَلَواتِ قَطْعا

[ذكر نبذة من كلامه:]

حكى عنه السُّلَمي أنه] قال: كلامُ الله تعالى إذا أشرف على السَّرائر أزال عنها رُعونةَ البشرية[3].

وقال: بُني أمرُنا هذا على أربع: لا نأكلُ إلا عن فاقة، ولا ننامُ إلا عن غلبة، ولا نتكلَّم إلا عن وَجْد[4]، ولا نسكت إلا عن خِيفة.

---

(١) ما بين معكوفين من (ف م م١)، والخبر في تاريخ دمشق ٦٢/ ٤٩ من طريق ليس فيه ذكر لابن جهضم. وانظر مناقب الأبرار ٢/ ١٦٣.

(٢) في (خ): نغم، وكلاهما صحيح.

(٣) طبقات الصوفية ٤٤٦، وما بين معكوفين من (ف م م١).

(٤) في (ف م م١): رفد.

وقال: كلُّ أحدٍ يُنسب إلى نسبٍ إلا الفقراء؛ فإنَّهم يُنسبون إلى الله، نَسَبُهم الصِّدق، وحسَبُهم الفقر.

[وحكى عنه في «المناقب» أنه] قال[١]: المعدة حَوْضُ البدَن، إذا وُضع فيها حلال صدر إلى الأعضاء بالصِّحَّة، وإذا وُضع فيها الحرام أو الشُّبَه صدر إلى الأعضاء بالسُّقْم، فصارَت بينه وبين الله حجاباً.

وقال: كم مسرور سرورُه بلاؤه، وكم مغموم غمُّه نجاتُه[٢].

وأنشد بين يديه قوَّال:

بـاللـه فـارْدُد فـؤادَ مُـكْـتَـئـبٍ لـيـس لـه مـن حـبـيـبـه خَـلَـفُ

فقام طوالَ الليل يبكي ويَسقط، والفقراء يبكون حوله.

وقال: مَن أَلِف الاتِّصال، ثم ظهر له عين الانفصال؛ تنغَّص عليه عيشُه، وانْمَحَق عليه وقتُه، وصار مُتلاشياً في مَحَلِّ الوَحْشة، وأنشد: [من الطويل]

لـوَ انَّ الـلـيـالـي عُـذِّبـت بـفـراقـنـا لأصـبـحـتِ الأيـام شُـهْـبَ الـذَّوائـبِ

ولـو جُـرِع الأيـامُ كـأسَ فـراقـنـا مَحا دمعُ عينِ الليل ضوءَ الكواكب[٣]

وقال: سألتُ الزَّقَّاق: لمَن أصحب؟ فقال: لمَن تسقُط بينك وبينه مُؤنة التحفُّظ، وفي روايةٍ: لمَن يعلمُ منك ما يعلمُه الله منك فتأمنه على ذلك[٤].

ذكر وفاته:

[واختلفوا فيها؛ فقال السُّلَمي:] مات في هذه السنة وزاد على مئة سنة.

[وحكى عنه في «المناقب» أنه مات سنة تسع وخمسين وثلاث مئة[٥].

---

(١) ما بين معكوفين من (ف م م١)، والخبر في المناقب ٢/ ١٦٣، وطبقات الصوفية ٤٤٩.

(٢) بعدها في (م ف م١): من كلام كثير.

(٣) تاريخ دمشق ٦٢/ ٤٨، ومناقب الأبرار ٢/ ١٦٧، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٥٤، وفيها عجز البيت الأول للثاني.

(٤) من قوله: وأنشد بين يديه قوال... إلى هنا ليس في (م ف م١)، والخبر في تاريخ بغداد ٣/ ١٧٤.

(٥) كذا نقل عن السلمي وصاحب المناقب، والذي في مطبوع كتابيهما أنه توفي بعد الخمسين وثلاث مئة، انظر طبقات الصوفية ٤٤٥، ومناقب الأبرار ٢/ ١٦٢.

وأرخ الخطيب وفاته في تاريخه ٣/ ١٧٥ سنة (٣٦٠)، وعنه ابن عساكر والذهبي.

حدَّث عن ابن مجاهد وقرأ عليه القرآن، وسمع الخرائطي وغيره، وقال في «المناقب»[١]: وكان ينتمي إلى أبي عبد الله بن الجَلَّاء، وكان من أقران أبي علي الرُّوْذَباري، وكان أوحد زمانه في وقته.]

محمد بن سعيد

أبو بكر، الحَرْبيّ، الزاهد[٢].

توفي في ربيع الأول ببغداد، وكان صالحاً، عابداً، ثقةً، فقال: دافعتُ الشَّهَوات حتى صارت شهوتي المدافَعَةُ فحسب.

[وفيها توفي]

محمد بن محمد بن الحسن

أبو عبد الله، التُّرُوْغْبَذيّ[٣].

كان من جلَّة مشايخ طُوس، [ذكره في «المناقب» وقال: صحب أبا عثمان الحيري وطبقته] وصار أوحد زمانه، مُجَرّداً، عالي الهِمَّة، كبيرَ الشأن، خرج يوماً من طُوس[٤]، وقال لصاحبٍ له: اشتر خبزاً كثيراً، فلمَّا صاروا إلى الجبل إذا قومٌ قد قطع عليهم اللصوصُ الطريق، ولم يأكلوا منذ مدَّةٍ، فقدَّم إليهم الخبزَ، فأكلوا [حتى شبعوا].

وقال: ترك الدنيا للدنيا من علامات جمع الدنيا.

وقال: مَن ضيَّع اللهَ في صغره أذلَّه اللهُ في كبره.

وقال: الأسماء مكشوفةٌ والمعاني مستورةٌ.

وقال: ليس في اجتماع الإخوان أنسٌ مع وَحْشَة الفِراق، [ومات في هذه السنة][٥].

---

(١) مناقب الأبرار ٢/ ١٦٢، ولم يتفرد به ابن خميس، بل سبقه السلمي والخطيب وابن عساكر.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٢٥١، والمنتظم ١٤/ ١٤٩، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٨، وهذه الترجمة ليست في (م ف م١).

(٣) طبقات الصوفية ٤٩٤، والمنتظم ١٤/ ١٥٩، ومناقب الأبرار ٢/ ٢١٤.

(٤) في النسخ في الموضعين: طرسوس، والمثبت من مصادر ترجمته.

(٥) أرّخ وفاته ابن الجوزي في المنتظم ١٤/ ١٥٩ سنة (٣٥٣). وما بين معكوفين من (ف م م١)، وجاء بعده في (م١ ف): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.